**المحاضرة الخامسة**

**العقائد الدينية**

رضي الدين عن الالعاب اعتبرها الصورة الصحيحة للاحتفالات الدينية ولذلك كانت تبدأ بمواكب فخمة وقورة يحتل فيها الكهنة والعذارى اماكن الشرف . وكان الامبراطور يترأس هذه الاحتفالات بصفته الكاهن الاعلى لدين الدولة، فقد بذل اغسطس ومن جاء بعده كل ما في وسعهم الاعادة الحياة الى الدين القديم الا عنصراً من عناصره وهو الحياة الاخلاقية الفاضلة. وحتى اشد الاباطرة كفراً بهذا الدين مثل نيرون كانوا يؤدون جميع المراسم الدينية والطقوس الواجبة الآلهة الرسمية ... واستمر الاباطرة في استشار المنجمين وادخل السحر والشعوذة والخرافات والرقي والتفاؤل والتطير (التشاؤم) وتفسير الاحلام في نسيج الحياة الرومانية . وكان اغسطس يدرس احلامه ودراسة جديه ، وغصت المعابد بتماثيل النذور من الذهب والفضة وكانت الشموع تضاء امام المذابح وتُقبل شفاه التماثيل المقدسة وأيديها وإقدامها . وقصارى القول ان الدين القديم بدأ وكأنه لا يزال محتفظا بقوته ، وظل يغلق الهة جدد مثل ( أنونا ) جامعة حبوب العالم الى روما لكن الدين القديم رغم هذه المظاهر الخارجية قد دب فيه الفناء ، ولم يكن تأليه الاباطرة دليلاً على اجلال الطبقات العليا لحكامها قدر ما كان شاهداً على قلة اجلالها لألهتها . وأخذت الفلسفة تمحو العقائد الدينية من قلوب المتعلمين ولم يجد الشبان الاثرياء الذين ذهبوا من اجل الدراسات العليا الى اثينا والاسكندرية ودروس ما يزيد من ايمانهم بالدين الروماني وعقائده . وكان الشعراء الاغريق يسخرون من الهة الرومان، وسرعان ما اخذ الشعراء الرومان يحذون حذوهم، وزاد الشك بين الرومان ، وحتى شواهد القبور تشهد على ازدياد الشك عندهم بالدين وعلى انغماسهم الصريح بالملذات. فقد كتب على واحدٍ منها ( لم اكن قد وُجدت ، لستُ موجوداً لست ادري ) وعلى اخر (لم يكن لي الا ما اكلتُ شربتُ لقد تمتعتُ بحياتي ) وعلى أخر (لا أومن بشيءٍ وراء القبر ) وعلى قبر اخر ( لا حاجة لي الان ان اخشى الجوع او ادافع الفائدة ،ولقد تحررت من وجع المفاصل على الاقل ). وعلى مر الزمن دخلت ديانات جديدة الى الرومان مع اسرى الحروب والجنود العائدين من ميادين القتال ومع التجار ، وأقام التجار الوافدون من اسيا ومصر معابد في نيقولي واوستيا وروما لعبادة ألتهم التقليدية . وكانت الحكومة الرومانية تنظر الى هذه الاديان الاجنبية نظرة التسامح ، لأنها لم تكن تريد السماح للأجانب بمشاركة الرومان في عباداتهم ، وفي نضير ذلك تطلب اليهم ان يكون كل دينٍ اجنبي متسامحاً مع غيره من الاديان وان تنتمي طقوسه ما يشعر بالخضوع الى الإمبراطور والى ألهه روما ليعبروا بذلك عن ولألهم للدولة . وشجع هذا التساهل والتسامح الاديان الشرقية فأمنحت هي الاديان الكبرى المنتشرة بين العامة

وقد أراد كلوديوس ان يهذب هذه العبارات الشرقية فرفع القيود المفروضة على عبادة (الام العظمى ) وأجاز الرومان وان يكونوا كهنة لها ، وقرر لها عيداً رسمياً في شهراً أذار (مارس)

وكانت ايزيس المصرية الهة الامومة والتجارة تنافس الالهة الرومانية في القرن الاول . وحاولت الحكومة الرومانية اكثر مرة تحريم عبادة هذه الالهة الاجنبية ،لكنها لم تفلح ثم استسلمت لها وبنت ضريحاً ضخماً لعبادتهم وقد ازداد شأن هذا الغزو الديني الاجنبي عاماً بعد عام فجاءت من جنوبي ايطاليا عبادة فيثاغورس وهي الاقتصار على أكل الخضر والاعتقاد بعودة الارواح الى الاجسام . وجاءت من سوريه عبادة الالهة أتاركاتس، ونشر التجار والعبيد السوريين عبادة هذه الالهة . وجاءت من بارثيا عدوة روما عبادة مثراً الهة الشمس ، وكان اتباعها يعتقدون انهم جنود في الحرب الكونية ، حرب النور على الظلام حرب الخير على الشر ،وكان في هذا الدين كثير من صفات الرجولة .ولهذا كان انصاره من الرجال لا من النساء، وأعجبت به الفيالق الرومانية المرابطة على الحدود . وجاءت من العبرانيين عبادة الاله (يهوه) اله الموحدين الذين لا يقبلون معه شريكاً .

**القانون الروماني**

شكل القانون الروماني سلسلة متتابعة من القوانين التي صدرت سابقاً، وكلما تعقدت الحياة الرومانية اصدرت الجمعيات وأصدر الحكام والزعماء قوانين جديدة سايرت الشرائع الامبراطورية في نموها واتساع نطاقها . وقد تطلب تعليم رجال القانون وإرشاد القضاة وحماية المواطن من الاحكام الظالمة غير المشروعة تطلب كل هذا تنظيم الشرائع وصياغتها بصورة مرتبة يسهل معرفتها . وكتب شيشرون واحد تلاميذه موسيوس اسكفيلا رسائل جديدة تخص القوانين . وخلقت القوانين المتناقضة التي سنها سُلاّ وبومبي وقيصر واغسطس مشاكل كثيرة للعقول التي حاولت ان تجعل الشرائح متمشية مع المنطق السليم ، فأخذ المشرع لابيو يندد بما في القوانيين من اضطراب وفوضى ويعلن ان المراسيم التي اصدرها قيصر واغسطس مراسيم باطلة لأنها مظهر لسلطة غاصبه غير شرعية ، ولم يكن في مقدور الافراد والمحاكم قبول والمحاكم قبول هذه القوانين الجديدة الاّ بعد ان وطدت الزعامة سلطتها باستخدام القوة أولاً وبسلطان العادة فيما بعد . وقد بذلت الجهود لوضع القوانين الرومانية بصورتها النهائية في ايام قيصر ولكن الجهود الحقيقة في هذا المجال قد بذلت في عهد هادريان وجستنيان فيما بعد .

والقانون الروماني بوجهٍ عام مأخوذ من عدة مصادر ففي عهد الجمهورية كان المصدر ارادة المواطنين التي يعبرون عنها الجمعية المعروفة بجمعية العشرة وجمعية المائة والجمعية القبلية ولم يكن لمجلس الشيوخ من الوجهة النظرية في عهد الجمهورية من اصدار القوانين ، اما قراراته المعروفة باسم (استشارات الشيوخ )فكانت من الناحية الرسمية توجهات الى الحكام ثم اصبحت هذه التوجهات على مر الزمن اوامر اخذت في اواخر عصر الجمهورية وفي عهد الامبراطورية قوة القوانين .

وكانت الحاجة الى القوانين محلية قد تعوقها الاوامر التي يصدرها موظفوا المجالس البلدية وكل حاكم جديد لمدينة رومانية كان بصدد في بدء قيامة منصبه أمرأ يذيعه منادي في السوق العامة (الفورم) وينقشه على احد الجدران يعرض فيه المبادئ القانونية التي ينوي العمل بها والحكم بين الناس بمقتضاها خلال السنة التي يتولى فيها منصبه . وكان بوسع حكام الولايات ان يصدر كذلك مثل هذه القرارات . ولم يسمح للحاكم بمقتضى السلطة المخولة له ان يفسر القوانين القائمة فحسب بل يسن قوانين جديدة . واذا انتقل قانون او مادة قانونية من حاكم لآخر يليه في الحكم اصبح ذلك جزء من القانون الاساسي حتى حل قانون المناصب محل الجداول الاثني عشر وأصبح القانون الاساسي مصدراً للأوامر القانونية في روما .

وأجمعت قوانين زعماء على مر الايام لتكون مصدراً اخر من مصادر القانون واتخذت هذه القوانين عدت اشكال فكان الزعيم يصدر مراسيم بوصفه صاحب منصب في المدينة وكانت هذه المراسيم نافذة في كل ارجاء الإمبراطورية اثناء حياة يبطل مفعولها بعد وفاته، وكان لأوامره بوصفه قاضياً ما لغيرها من الاوامر التي تتخذ قوة القانون. واعتبرت ردود الامبراطور اجوبه يتم الرجوع عليها عند الاستفسارات. وقد اتخذت هذه الاجابات في العادة شكل رسائل او اجابات قصيرة كتبت تحت سؤال او ملتمس (عريضة) . واعتبرت عهود الاباطرة توجيهات تصدر للموظفين وقد تألف من هذه العهود على مر الزمن كتاب كبير في القانون الاداري وجرت العادة ان يجلس بعض المشرعين على كراسي في السوق العامة او في بيوتهم كما كان يحدث في العهود المتأخرة لعصر الامبراطورية . وكان هؤلاء المشرعون يصدرون فتاوي قانونية لكل من يطلبها مقابل مكافئه مالية .

وكثيراً ما كان المحامون او قضاة البلديات يأتون اليهم لاستشارتهم في مشاكل قانونية ويقومون بالتوفيق بين المتناقضات ويحددون الفروق الدقيقة بين القوانين ويفسرون قانون القديم بما يلائم احتياجات الحياة القائمة عندهم او يفسرونه بما يتفق وظروفهم السياسية... وقد اصبح الاجابة المكتوبة لهؤلاء المشرعين قوة لا تفوقها الى قوة القوانين . وجعل المعنى لهذه الفتاوي كل ما للقوانين من قوة اذا توفر فيها شرطان هما :

(1)ان يكون المشرعون قد حصلوا من الامبراطور حق اصدار القوانين الفتاوي القانونية .

(2)ان ترسل الاجابة المختومة الى القاضي المعروضة عليها القضية الصادرة فيها الفتاوي .

وفي عصر جستنيان اصبحت هذه الاجابات او الفتاوي القانونية مصدراً واسعاً للشرائع .

**قانون الاموال الشخصية :**

المواطن في القانون الروماني هو الشخص الذي ضُم الى احدى القبائل الرومانية بحبكم المولد او التبني او العتق او المنحة من قبل الحكومة . والذين ينطبق عليهم هذا التعريف ينقسمون الى ثلاث درجات هي :

1-المواطنون الكاملون الذين يتمتعون بالحقوق الاربعة التالية :

أ-حق الانتخاب ، ب-حق التوظف ، ج- حق الزواج من حرة بمولدها د- حق الدخول في تعاقد يحميه القانون الروماني .

2- المواطنون الذين يتمتعون بحق الزواج والتعاقد ولكن لا حق لهم في الانتخاب ولا في التوظف .

3- المعاتيق الذين يتمتعون بحق الانتخاب والتعاقد ولكن لا حق لهم في الزواج من حرة ولا التوظف .

كان المواطن من الدرجة الاولى فضلاً عن حقوقه السالفة الذكر يتمتع بحقوق يضمنها له القانون الشخصي ولا يشاركه فيها سوآه مثل حق الاب على ابناءه والزواج على زوجته والمالك على ملكه الذي يشمل عبيده .

ولكل مدينة في الامبراطورية مواطنوها وشروطها الخاصة لنيل حقوق المواطنة . ومن المميزات بالإمبراطورية الرومانية ان الشخص يستطيع ان يكون مواطناً لعدة مدن في ان واحد ، وان يتمتع في هذه المدن جميعاً بالحقوق المدينة . وابرز ميزة تمتع بها المواطن الروماني هي حماية القانون الشخصي لملكة وحقوق وأمنه على نفسه من التعذيب او العنف اثناء المحاكمة . ومن مفاخر القانون الروماني انه يحمي الفرد من الدولة . وكان انتشار القانون في الاقاليم التي خضعت لسلطان العادات سبباً في ضعاف حقوق الاباء على الابناء ، واخذ سلطان الاب على ابناء يضعف كلما ازداد سلطان الحكومة على الافراد .

كان الاباء هم الدولة في الاوائل عهد الجمهورية ، ورؤساء الاسر هم الذين يؤلفون الجمعية القبلية ، واغلب الظن ان رؤساء القبائل ألفوا مجلس الشيوخ . ثم ضعف نظام الحكم الذي اعتمد الاسر والقبائل بعد ان كثر عدد السكان واختلفت اصولهم وأصبحت الحياة اكثر تعقيداُ وازدياد الصلات الناس، فحل التعاقد والقانون محل القرابة والمكانة الاجتماعية والعادات فنال الابناء من ابائهم نصيباً اوفى من الحرية . كما ازداد تحرر الزوجات من الازواج . . وقد امر الامبراطور تراجان بفضل ابن عن ابيه لأنه اساء معاملته . وسلب هادريان من الاب حقه في قتل افراد اسرته ونقل هذا الحق الى المحاكم . وكانت المرأة الرومانية تحصل على حقوق جديدة كلما فقد الرجال حقوقاً قديمة ، وكانت من المهارة بحيث تستطيع ان تسترجع حريتها تحت ستارٍ من القيود القانونية . لقد كانت شرائع الجمهورية تفترض ان لاحق للمرأة على نفسها مطلقاً بل تخضع على الدوام لولي امرٍ من الذكور ، وفي ذلك يقول احدهم (توجب عاداتنا على النساء الرشيدات ان يبقين تحت الوصاية لخفة عقولهن ) ، ثم زال القسط الاكبر من هذه الوصاية في عهد الجمهورية المتأخر وفي عهد الامبراطورية ، وكان سبب زواله مفاتن النساء وقوة ارادتهن ... وهكذا اصبح المجتمع الروماني منذ ايام كانوا خاضعاً لسلطان النساء وان كان من الناحية القانونية مجتمعاً ابوياً . واقرت قوانين اغسطس هذه الحقيقة بعض الاقرار حين رفعت الوصاية عن كل امرأة تلد ثلاث ابناء مشرعين ، واصدر هادريان مرسوماً يجعل من حق النساء التصرف في املاكهن بحريةٍ شرط الحصول قبل ذلك على موافقة اوليائهن ، ولكن الاجراءات الفعلية لم تلبث ان استغنت عن هذه الموافقة . ولم يكد ينتهي القرن الثاني الميلادي حتى كانت وصاية الرجال قد رفعت من الوجهة القانونية على المرأة اذا تجاوزات الخامسة والعشرين من العمر . وظل زمن الوالدين واجباً في زواج الشرعي . وكان الزواج الذي يتطلب احتفلاً دينياً مقصوراً على عددٍ قليل من الاسر التي يتألف من ابائها مجلس الشيوخ . وبقي الزواج بالشراء قائماً من حيث الشكل ، ولكن معظم حالات الزواج اصبحت زواجاً بالمعاشرة . وكانت الزوجة تتجنب الخضوع لحق زوجها في ملكها عند تغيبه عن بيته ثلاث ليالٍ في كل عام ، ولذلك كانت تحفظ بسيطرتها على ملكها . وكثيراً ما كان الزوج يسجل املاكه باسم زوجته تهرباً من قضايا العقاب على الافلاس او التعويض . وفي وسع كل من الطرفين فسخ الزواج الذي يتسلم فيه الزوج زوجته واملاكها متى اراد ، وفيما عدا هذا النوع من الزواج كان الزوج وحده هو الذي يملك الحق في فسخه . واعتراف القانون الروماني بالتسري بديلاً عن الزواج لا مصاحباً له ، ولم يسمح للرجل باتخاذ خليلتين في وقتٍ واحد ، ولم يعتبر ابناء السراري ابناءً شرعيين ولم يكن لهم حق الميراث وحاول القانون تشجيع الابوة بين الاحرار ، ولكنه لم يفلح كثيراً . وقد حرم قتل الابناء اذا كانوا مشوهين اذا مصبين بأمراض صعبة العلاج وكان عقاب من يجهضن حاملاً النفي من البلاد بعد مصادرة املاكه ، واذا توفيت الحامل نتيجة الاجهاض عوقب بالإعدام . يبقى الابناء تحت سلطان الاب الآ اذا تحرروا من سلطته بحكم القانون او شغلوا منصباً عمومياً او اصبحوا كهنة او صبحت احدى بناته العذراء في خدمة المعبد ، واذا تزوج ابن في حياة ابيه كانت ولاية ابناء لجدهم .

اما العبيد فلم تكن لهم حقوق قانونية على الاطلاق . في الواقع كان القانون الروماني يتردد في ان يطلق على العبد لفظ شخص (person )، ثم خرج من هذه الورطة وسماه (انساناً غير شخصي ) الا انه في الواقع كان العبد يعتبر بضاعة، اذ لم يكن له حق في ان يتملك او يرث او يورث او يتزوج زواجاً شرعياً . ويعتبر ابناؤه غير شرعيين، واعتبر ابناء الجارية عبيداً وان كان ابوهم من الاحرار . ولم يكن في وسع العبد اقامة الدعوى على هن يؤذيه من الاحرار في المحاكم ،غير ان السيد هو الذي يرفع دعوى لرد الاعتداء عن عبده . وكان لهذا السيد في عهد الجمهورية ان يضرب عبده ويسجنه ويحكم عليه بمقاتلة الحيوانات الوحشية في المجتلد ويقتله لسببٍ او الغير سبب، واذا هرب والقي القبض عليه كان بوسع السيد ان يكويه بالنار او يصلبه

واخذت حالة العبيد تتحسن في عهد الامبراطورية ، اذا حُرم قتل العبد الذي لا يُرتجى منه منافعا ، واصبح العبد المريض الطريد بعد شفاءه حراً . وحرم الحكم على العبد بالقتال في المجتلد ، الا اذا وافق على ذلك موظف كبير . واجاز نيرون للعبد الذي آسيئت معاملته ان يلتجأ الى تمثاله ويحتمي به ، وعين قاضياً للنظر في شكاوى امثال هذا العبد، واعتُبر هذا تقدماً بدا لروما كأنه انقلاب ثوري لأنه فتح ابواب المحاكم للعبيد ، وحرم هادريان على اسياد العبيد قتل عبيدهم دون موافقة الحكام . واجاز انطونيوس للعبد الذي اسيئت معاملته ان يحتمي بمعبد ، وقرر بيع مثل هذا العبد لسيد اخر اذا ثبت انه تفر . وشجع اورليوس الاسياد على عرض ما لحقهم من الاضراد على يد عبيدهم على المحاكم بدلاً من الاقتصاص لا نفسهم منهم . وكان يرجو احلال القانون والحكمة محل الوحشية والانتقام الفردي .

ان خضوع العبد قانوناً لسيدة على هذا النحو رغم ما ذكرناه من اجراءات بسيطة الصالحة كان كان وصمه للقانون الروماني لأنه فرض الضرائب والقيود على عتق العبيد ، حتى ان الكثير من الاسياد لجأوا الى عتق عبيدهم من غير شهود رسميين او من غير احتفال قانوني . وكان النوع من العتق لا يعطي المعتوق حقوق المواطنة ، وكل ما يمنحه هو جعله لاتينيا . اما العبد الذي يعتق حسب الاجراءات القانونية يصبح مواطناً ويتمتع بالحقوق المدينة المقيدة ببعض القيود . وكانت العادة تتطلب من العبد ان يؤدي له احياناً قسطاً من مكسبه وإذا توفي المعتوق دون ان يومي لأحد بماله يذهب هذا المال الى سيده السابق اذا كان حياً وإذا اومئ بماله وهو على قيد الحياة ينتظر منه ان يخض هذا السيد ببعضٍ منه . وقصارى القول لم يكن المعتوق يستنشق نسيم الحرية الا بعد موت سيده . جنحة او تعاقد على القيام بعملٍ عام يخدم المجتمع . فأما الجنح ، وهي الذنوب البسيطة التي تضر بالشخص او بملكه يعاقب عليها في كثيرٍ من الاحيان بغرامةٍ تدفع الى من وقع عليه الاذى تعويضاً له كما الحق به من ضرر ، وأما العقد فكان اتفاقاً ينفذه القانون ، ولم يُفرض في هذا التعاقد ان يكون مكتوباً . وفي الواقع ان الاتفاق الشفوي الذي يتم بلفظ كلمة (أتعهد) امام احد الشهود ظل حتى القرن الثاني الميلادي يُعد اكثر قداسه من اي تعهد مكتوب . ولم تعد كثرة الشهود ولا المراسم الوقورة التي لابد منها في العهود السابقة لا تمام التعاقد القانوني ضرورية خلال الفترة التي نتحدث عنها .